سلسلة عظمة الخالق

(٥)

الرزق

تأليف

الشيخ منصور الرفاعى عبيد
من علماء الأزهر الشريف

الدكتور إسماعيل عبد الفتاح
مشرف الطفولة بوزارة الاعلام

تصميم وإخراج فنى : أحمد صابر المرسى

رقم إيداع
١٠٩٥٢ / ٢٠٠٠

I.S.B.N
977- 301 - 083 - X



الشركة العربية للنشر والتوزيع
١٤٢ شارع جول جمال - المهندسين
ت : ٣٠٣٦٣٠١

مقدمة

أىْ بُنَىَّ:

إِنَّ كلَّ شىءٍ فى الوجودِ له بِدَايةٌ وله نِهَايَةٌ إلا «اللهُ» فهو سبحانَه الأولُ بِلاَ ابتداءٍ، حيثُ كان هو سبحانَه ولا شىءَ معه لأنَّ الكونَ لم يُخْلَقْ بَعْدُ...

فلما أَرادَ الحقُّ – سبحانه – أنْ يخلُقَ الكونَ ... نظرَ إلى الماءِ (لأن العالمَ يومَها كان كلُّه ماءً واللهُ هو المهيْمِنُ عليه بإرادتِه وقدرتِه وعظمتِه) فإذا بجزءٍ منه يتجمدُ ليُكَوِّنَ الأرضَ التى أصبحتْ كسفينةٍ فى وسطِ البحرِ...

فخلقَ – سبحانَه – الجبالَ وجعلَها كالأوتادِ التى تُمْسِكُ الأرضَ حتى لا تتَحوَّلَ فتغرقَ فى الماءِ...

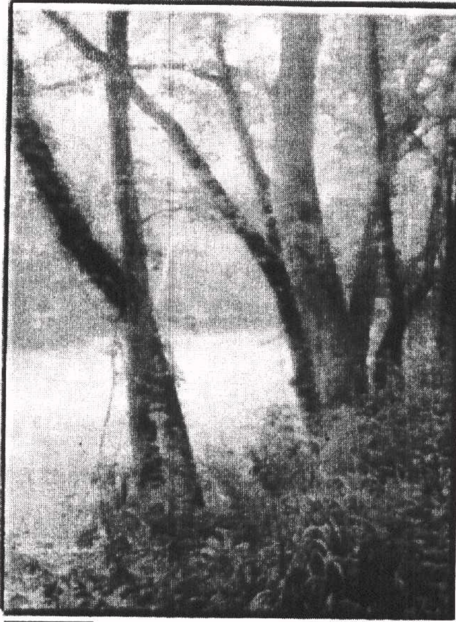
ثم نظرَ – سبحانَه وتعالَى – إلى الماءِ، فارتفعَ منه دخانٌ، فلما ارتفعَ منه الدخانُ تكونَتْ السماءُ، التى خلقَها اللهُ سبعَ سمواتٍ...

ثـم أَودعَ اللهُ سبحانَه المخزونَ من الطعامِ والشرابِ فى الأرضِ لأنه – سبحانَه – يعلمُ أنَّه سيَخْلُقُ على الأرضِ الإنسانَ والحيوانَ والطيورَ والهوامَّ وكذلك إبليسُ والجانُّ والنباتاتُ والأشجارُ...

خلقُ الكائناتِ

جعلَ اللهُ مخزونَ الأرضِ من الطعامِ والشرابِ ليكفِيَ كافَّةَ المخلوقـاتِ على سطحِ الأرضِ، فبـعضُ المخلوقاتِ يحتـاجُ إلى الطعامِ والشرابِ ومنهم من يحتاجُ إلى الشرابِ فقط كالنباتاتِ التى غذاءَها من الأرض.

هذا المخزونُ جعلَه اللهُ يكفِى كلَّ المخلوقاتِ من لحظةِ سيدنا آدمَ وتواجُدِه على الأرضِ مع زوجتـهِ حـواءَ، وكذلك الشـيطانُ وذرِّيتُـه، إلى أنْ تقـومَ القيامةُ.



ثـم خـلـقَ اللهُ العـرشَ والـكـرسـىَّ بمـا يـلـيـق بجـلاله وعظمتـه، ثم نظرَ سبحانَه إلى الأرضِ بعد أن استوتْ والسماءِ بعد أن رُفِعَتْ وخاطبَهُما بقوله: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا



طَائِعِينَ﴾ (١١) «سورة فصلت».

ثم خلقَ اللهُ بعد ذلك الملائكةَ بقدرَتِه، وهُم خُلِقُوا من النورِ ليس فيهم من المادةِ أو الترابِ، فالملائكةُ مخلوقاتٌ نورانيَّةٌ خلقَها اللهُ لعبادَتِهِ وتوحيدِه وتنفيذِ أَوامِرِه.. ثم .. خلَقَ اللهُ الجانَّ من مارجٍ من نارٍ (وهو لهبُ النارِ الصافِي من الدخانِ)، والجانُّ أسكنَهُم اللهُ الأرضَ لأنَّ الملائكةَ أسكنَهم اللهُ السماءَ...

ثم اقتضتْ مشيئةُ اللهِ أن يخلُقَ آدمَ، فبعثَ ملَكًا، وجاءَ بقبضةٍ من ترابِ الأرضِ، وجاءَتْ هذه القبضةُ مشتَمِلَةً على

جميعِ العناصرِ التى خُلِقَتْ منها الأرضُ، ولهذا يحنُّ الإنسانُ إلى الأرضِ دائمًا لأن مكوناتِ جِسمهِ منها...

ولمَّا خلقَ اللهُ آدمَ وصوَّرَه، قبلَ أنْ ينفُخَ فيهِ من الرُّوحِ، كانَ إبليسُ اللعينُ، الذى يقلِّدُ الملائكةَ ويَعيشُ معهم، يطوفُ بآدمَ وهو مصورٌ على هيئَيته قبل أنْ ينفُخَ فيه الروحَ»، ويتعجبُ ويقولُ:- لماذا خلقَ اللهُ هذا؟!

فجمَعَ اللهُ الملائكةَ وقال لهم قبلَ أنْ ينفُخَ الروحَ فى آدمَ:

- إنِّى جاعلٌ فى الأرضِ خليفةً! وهذا هو سببُ خلقِ آدمَ.. ولكنَّ الملائكةَ قالَتْ:

- أتجعلُ فِيها من يُفسِدُ فِيها ويَسْفِكُ الدماءَ؟!

ولكنَّ اللهَ - سبحانَه وتعالَى - نفخَ فى آدمَ الروحَ، وقالَ من عِلْمِه وإحاطَتِه الشامِلَةِ لكلِّ شىءٍ فى الحاضرِ والمستقبلِ:

- هذا المخلوقُ (الذى هو آدمُ) خُلِقَ لمُهِمَّةٍ عظيمةٍ، لأنَّه سوفَ يَعْمُرُ الأرضَ، ويبحثُ فيها عن الرزقِ المدفونِ الذى أودَعْتُه بإرادتى فيها... وسيكونُ من ذرِّيَّته نَسْلٌ كثيرٌ، يَعْمُرونَ أرجاءَ الأرضِ بالعملِ، وسيكونُ هذا العملُ عبادةً يثابونَ عليها منِّى...

فأَنا اللطيفُ الخبيرُ...

فلما نفخَ اللهُ من روحـهِ فى آدمَ، صـارَ حـيًّا، وتثـاءب ووقفَ وتحرَّكَ، عندَئذٍ نادَى اللهُ على الملائكةِ وقالَ لهُم:- اسْجُدُوا لآدمَ (والسجودُ هو انحناءةٌ تدلُّ على التحيةِ والتقديرِ).

لكنَّ ... الشـيطانَ، وهو من الجنِّ، رفضَ هـذَا السـجـودَ... وقال:- أنَا لن أسجُدَ لهذا لأَنَّنِى أَقْوَى منه .. فأَنا من النارِ وهوَ من الطينِ!!

وهذا الكلامُ لا يُقالُ فى حضرةِ الإلهِ الكبيرِ المتَعَالِ.. لكن الشيطانَ.. كان قد تكبَّرَ واغْتَرَّ، وفهِمَ أن عُنْصُرَهُ النارىَّ أفضلُ من عنصرِ آدمَ الترابِىِّ...

ولكنَّ المولَى، وهو الخالقُ لهذا وذاكَ .. قال:- إِنِّى أَعلمُ ما لا تعلَمون.

أمانة غالية

إنَّ اللهَ - سبحـانَه وتعـالَى - عندمـا خلَقَ الأرضَ والسمـاءَ عرضَ عليهمـا حملَ أمـانةِ العقلِ وما يتعلقُ به من التكاليفِ الشرعيةِ فأَبَت الأرضُ والسماءُ حملَ هـذهِ الأمانة.

ثم عرضَها على الملائكةِ فقالتْ:

إلهَنَا وسيِّدَنا وخالِقَنا ... نحنُ نُطيعُ أمرَك ولا نعصيكَ أبداً.. ولكن ارْحَمْنا برحْمَتِك من هذه الأمانةِ.. فلن نقدرَ على حملِها ولا على القيامِ بتَكاليفِها ... فأَعطِها إلى غيرِنا من خلقِك وأنتَ أعلمُ بهم..

ولمَّا عُرِضَت الأمانةُ علىَ آدمَ حملَها.

ولهذا، كان الإنسانُ هو الوحيدُ فى جميعِ المخلوقاتِ الذى فيه عقلٌ به يفكِّرُ وبهِ يتعرفُ على جـمـيعِ الكائناتِ والأشياءِ.



لذلكَ ... أَسْجَدَ اللهُ له ملائكتَه، وأمرَهُم بتقديرِه وإجلاله، ولذلكَ، طرحَ اللهُ سؤالاً علَى الملائكةِ وعلى إبليسَ ... وقالَ:

- أَنْبِئُونِى عن أَسماءِ

هذه الأشياءِ (وأراهم الأشجارَ وأطلعَهُم على الأنهارِ والبحارِ).

فعجزَت الملائكةُ ومعهم إبليسُ عن تحديدِ مُسَمَّى هذهِ الأشياءِ، فطرحَ الله السؤالَ على آدمَ .. وقالَ:

– أنْبِئْ الملائكةَ ومعهم إبليسُ بأسماءِ هذه الأشياءِ.

فأشارَ آدمُ إلى كلِّ شيءٍ على حِدَةٍ، وقالَ: هذا شجرُ النخيلِ.. هذا نهرُ الفُرَاتِ ... هذا فأسٌ .. هذا ... هذا ... وتحدَّثَ آدَمُ بطلاقةِ لسانٍ وأجملِ تعبيرٍ وأحسنِ بيانٍ ... فقالَ اللهُ للملائكةِ:

– ألَمْ أقُلْ لكم إن آدمَ خُلِقَ لمهمةٍ جليلةٍ، فها هو قد نطَقَ بأسماءِ الأشياءِ . . مما يَدُلُّ على أنه سيكونُ له شأنٌ علَى الأرضِ .. ومع أننى أودعتُ فيه العقلَ وهو أعلَى شيءٍ وأعظمُ جوهرٍ، إلاَّ أنَّنِى .. سوفَ أبعثُ إليه وإلى أبنائه رُسلاً يُذكِّرونَه إذا نسِيَ، وتكونُ الصلةُ بينى وبينَهم قويةٌ، آخذُ بيدهِم وأمُدُّهم بعونِى وإرادَتِى.

توزيعُ الأرزاق

اللهُ – سبحانَه وتعالَى – هو الخالقُ لكلِّ شيءٍ... وهو موجودٌ فى كل مكانٍ فى الوجودِ بعِلْمِه وقُدْرتِه.

ولما كانَ الإنسانُ صَنعةَ اللهِ عز وجل وخَلَقَهُ، فلقد أُمِرْنَا بالمحافظةِ عليهِ، أىْ أنْ يحافظَ الإنسانُ على نفسِهِ جسَدًا ورُوحًا.. وبالتالِى لايعتدِى على أَحدٍ بالإِساءةِ، ولا يُتْلِفُ فيه أَىَّ عضوٍ أو يُعْطِيه أىَّ مشروبٍ يُغَيِّبُ عقلَهُ...

ومع هذهِ التوجيهاتِ الإلهيةِ، فإنَّ اللهَ - سبحانَه وتعالَى - قد تكفَّلَ بالرزقِ لكلِّ الناسِ، كما تَكَفَّلَ به لجميعِ المخْلُوقاتِ: قالَ تعالَى: ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا** ﴾ (٦) «سورة هود».

والإنسانُ قبل أَن يَخْرُجَ من بطنِ أُمِّه إلى الوجودِ، كَتَبَ اللهُ له



رزقَه وأجلَه وشقاءَه أو سعادتَه..

وهذا الكتابُ محفوظٌ عندَ اللهِ، ولم يطَّلعْ عليه أحدٌ من البشرِ أو الملائكةِ أو الجانِ، لأنَّ هذا من علْمِ الغيبِ الذى استأْثَرَ اللهُ به لنفسِه. قال - تعالى -: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ (٥٩) «سورة الانعام».

فالإنسانُ قبلَ أن يُولَدَ، قُدِّرَ له رزقُه الذى يُساقُ إليهِ عن طريقِ أُمِّه التى تحملُه، فيمتَصُّ هذا الغذاءَ عن طريقِ الحبلِ السُّرِّى.. فإذا أُخْرِجَ إلى الوجودِ ساقَ اللهُ الرزقَ له عن طريقِ صدرِ أمِّه...

فإذا كبُرَ الإنسانُ وفُطِمَ، فإنَّ اللهَ أَمرَه أَن يعملَ ويسعَى، فإنْ فعلَ ذلك، هيأَ اللهُ له أسبابَ الحصولِ على الرزقِ، لأنَّ اللهَ -تعالى- جعلَ الرزقَ فى الأرضِ، يصلُ إليهِ عن طريقِ السعيِ والتعبِ والتفكيرِ واستثمارِ الوقتِ...

فاللهُ قد ضَمِنَ لكلِّ الناسِ أرزاقَهم بشرطِ السعيِ فى أرجاءِ الأرضِ، وأَنْ يُسخِّرُوا قُدْرَاتِهم وفِكْرَهم وعقلَهم للتخطيطِ لعملٍ جيِّدٍ، وعملٍ يكونُ هدفُه الوصولَ إلى الرزقِ بطريقٍ شريفٍ وأُسلوبٍ نظيفٍ...

ومن أَسبابِ التوسُّعِ فى الرزقِ أنْ يعبُدَ الناسُ اللهَ كما أَمرَهُم وأَنْ يشكُروهُ على إِحسانِه إليهم، قالَ تعالَى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (٧) «سورة إبراهيم».

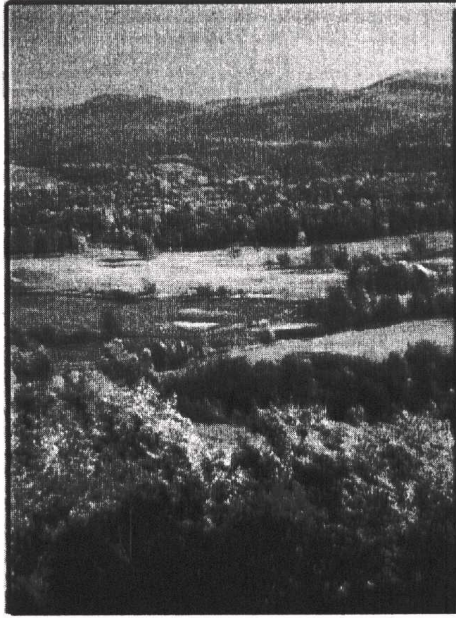
بل وفَضَّلَ اللهُ الناسَ بعضَهم على بعضٍ فى العقلِ وفى الجسمِ وفى التفكيرِ ... وفى الأرزاقِ... وطلبَ اللهُ من الناسِ أَنْ يَسْعَوْا ويجتَهِدُوا ويُدَرِّبُوا أَنفسَهم على العملِ الجادِّ، ويرزقَهم اللهُ بعدَ ذلك...

المخزونُ الاستراتيجيُّ فى الرزقِ



وضعَ اللهُ فى الأرضِ المخزونَ الاستراتيجيَّ لرزقِ كافةِ مخلوقاتِه منذُ خَلقَ الأرضَ إلى يومِ القيامةِ...

والمخزونُ الاستراتيجيُّ فى الأرضِ والجبالِ يتَكَوَّنُ من نحاسٍ وحديدٍ



وبترولٍ ومعادنَ، وما فى البحارِ من أسماكٍ وجواهرَ وما فى البَرِّ من ثروةٍ حيوانيةٍ أَو دواجنَ ونباتٍ متعددٍ... وما فى جوفِ البحرِ والأرضِ وعلَى سطحِ السفوحِ والتلالِ والهضَابِ من ثَروَاتٍ لا نستطيعُ حصرَها...

فكلُّ شخصٍ يعلمُ أَنَّ له فى هذا المخزونِ الأرضىِّ ما يَكْفِيه ويكفِى البشريةَ... ولكنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - يُوَزِّعُ هذه الأرزاقَ على الأجيالِ، جيلاً بعدَ آخَرَ... فكلُّ جيلٍ من الأجيالِ له ما يكْفيهِ من المخزونِ الذى أَوْدَعَه اللهُ فى الأرضِ... ويُظْهِرُ اللهُ الرزقَ للناسِ بقَدْرٍ.

الحفاظُ على الثَّروات

تَكفَّلَ اللهُ بالرزقِ لكافةِ المخلوقاتِ، ليطْمَئِنَّ قلبُ الجميعِ بأَنَّ



اللهَ الخـــالقَ وفَّــرَ لكلِّ إنســانٍ يولَدُ، ولكلِّ خَلْقٍ يُوفَـدُ إلى الدنيـا رزقَــه المحدَّدَ...

ولذلك، كـانت أعـمـاقُ الأرضِ والبــحـــارِ والمحيطاتِ مليئةً بالكنوزِ مـا بينَ الذهبِ والمعـادنِ والمزروعـاتِ والثَّــروات المختلفةِ التى تكْفُلُ تأْمينَ حياةِ المخلوقاتِ .

ولقد كانَ الإنسانُ قديمًا يأْخذُ ما يكفيه، ويترُكُ الباقىَ تحتَ رحمةِ اللهِ وفى أَحضانِ الطبيعةِ التى ترعاهُ وتحفظُه بأَمرِ اللهِ...

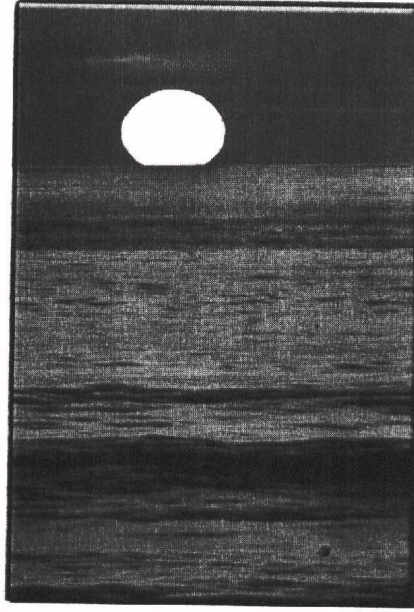
فلمـا حـدثَ للإنسـانِ جـشَعُ، وأَرادَ أن يدَّخِـرَ لِخَـوْفِـه من المستقبلِ، بدأَ يُفكِّرُ فى الثلاجاتِ والمجَمِّدَاتِ وما يماثِـلُها من وسائلَ وأدواتٍ، ليحفظَ بها الأَطعمةَ، ويُوَفِّرَ من حقِّ غيره لنفسه، ومع ذلك... فعطاءُ اللهِ غيرُ محدودٍ، ومستَمِرٌّ ... والمخزونُ الذى

أَوجدَه اللهُ، يكفِى للبشريةِ حتى لو ادَّخَرَتْ ملايينَ الأطنانِ...

فكلُّ شيءٍ عندَ الله متوفِّرٌ بقُدْرَته... واللهُ - سبحانَه وتعالَى - يُعْطِى من يشاءُ ويَحْرِمُ من يشاءُ، ولا يُسْأَلُ عمَّا يفعَلُ، لأنَّ الذى حُرِمَ عطاءَ الله يكونُ بسببِ عَملِه وأَفْعَالِه. ولذلك، فإنَّ من ضاقَ رِزْقُه، عليه أنْ يجتهدَ ويصبِرَ ويتَحمَّلَ المشاقَّ ويبْتكِرَ ويكونَ أَمينًا على نفسِه ويكونَ طائعًا لربِّه شاكرًا لفضْلِه... وسوفَ يتغيَّرُ حالُه ويتبدَّلُ لأنَّ اللهَ - سبحانَه وتعالَى - يمحوُ عن العبدِ ما يشاءُ ويُثْبِتُ عليه ما يشاءُ.

ونظرًا لأننا لم نَطَّلِعْ على كتابِ اللهِ الذى سجَّلَ فيه علينْا ما سجَّلَ، فليس لنا أنْ نبحثَ فى ذلك .. وإنما علَينا أنْ ننطلِقَ بِهِمَّةٍ وكفاءَةٍ للسَّعْيِ فى مختلِفِ أَنحاءِ الأرضِ، ونستخرِجَ ما فيها من الرزقِ، وأَساسُ ذلك العلمُ والتخطيطُ المبنىُّ على قِيَمِ الدينِ وسلوكِ المجتمعِ وعاداتِ البيئةِ التى تتَّفِقُ مع الدينِ وقِيَمِه... .

ولْنَعْلَمْ جميعًا أنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغَيِّرُوا ما بأَنفسِهم، فإنَّ السبيلَ إلى الرزقِ الوفيرِ هو طاعةُ اللهِ وعدمُ عِصْيانِه وعدمُ اللجوءِ لوسائِلِ الحرامِ مَهْما كانتْ مُغريةً.



أى بُنَىَّ:

اللهُ تكفَّلَ بالرزقِ لجميعِ الخلقِ عقبَ خلقِ السموات والأرض... ولنقرأْ معًا كلامَ الله - تعالى - ونتدبَّره حيثُ قال - سبحانه -: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠)﴾ «سورة فُصِّلت».

ولذلك، فإنَّ اللهَ قدَّرَ لجميعِ المخلوقات أقواتَها وأوْدَعَ كلَّ رزْقِها فى الأرضِ، قالَ - تعالَى -: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ (٢٣) «سورة الذاريات».

فالرزقُ مكتوبٌ فى السماءِ ولا يوجَدُ من يتَحكَّمُ فيه على ظَهْرِ

الأرضِ وعلى الناسِ بعدَ ذلك أن يَرْضَوْا بما قَسمَ اللهُ لهم من أرزاقٍ ولا يتَطلَّعُوا إلى ما عندَ الناسِ...

فإذا كنتَ يا بُنَىَّ ممَّن وفَّقَهم اللهُ وسعدْتَ فى الدنيا وسَعدَتْ هى بكَ، ووسَّعَ اللهُ عليكَ فى الرزقِ وعلَى أهلِكَ، فكنْ كريمًا معَ الناسِ، تُحْسِنُ إليهم، تساعدُ ضعيفَهم، وتحسِنُ إلى الفقراءِ والمرْضَى، مما أسْمَاهُ اللهُ - تعالَى -: الزكاةَ والصدقةَ...

وذلك لأنَّ المالَ الذى يكسِبُه الإنسانُ ويضَعُه فى يدِه نتيجَةَ عملٍ أو ميراثٍ أو تجارةٍ، قد وفَّقَه اللهُ فى جمعِه وأمرَه باستثمارِه والمحافظة عليه وعدمِ كَنْزِه ... ونبَّهَهُ اللهُ إلى إخراجِ الزكاةِ عنهُ إذا استمرَّ معهُ عامًا ... لأنَّ المالَ مالُ اللهِ والإنسانُ مُستَخْلَفُ فيه ... وعليهِ أن يُعطِىَ حقَّ الفقراءِ والمساكينِ فى هذا المالِ ... حتَّى يباركَ اللهُ فى أموالِنا... وإنْ قَلَّ المالُ فى نظرِنا، فإنَّ ذلكَ يكونُ اختبارًا من اللهِ لنا حتى يظهرَ مدَى صبرِنا وبأسِنا وتَحمُّلِنا .... فلْيكنْ إيمانُنا باللهِ كبيرًا فهو الرزَّاقُ ذو القوةِ المتينُ.